العرب
الأربعاء 2020/05/20
السنة 42 العدد 11708

إخوان مصر المعتقلون في السودان.. قرابين فداء للقيادات

تعاطي التنظيم مع القواعد الهاربة قرينة على الابتزاز الإخواني

شَـهد مطلع مايو حملات إخوانية ممنهجة تروِّج لتقارير حول ما أسـمته اعتقـالات في صفـوف معارضين مصريـين في السـودان، وأخبار عن ترحيلهم للقاهـرة، مُعتبرة أن هذه الحملات تأتـي على خلفية اجتماعات مصرية سـودانية مشتركة رفيعة المسـتوى. بلغتْ الحملة ذروتها بدخول عادل علي الله مراقب عام إخوان السـودان على خطها، مُعلقًا عليها بقوله "هذا أمر إن تم سـيُعد انتكاسـة كبيرة في شعار الثورة حرية وعدالة، حيث يخالف هذا الأعراف والمواثيق الدولية".

السودان حديقة خلفية للإخوان

عبدالجليل الشرنوبي
كاتب مصري

لا يمكـن فصل توقيت هـذه الحملات الإخوانيـة عن زيارة قام بها اللواء عباس كامل رئيس المخابرات المصرية للخرطوم في أبريل الماضي، والتقى خلالها برئيس مجلس السـيادة السـوداني الفريق أول عبدالفتـاح البرهان، وهي زيـارة لم تكن الأولى كما أنها لم تكـن بمعزل عن حالة الرصـد الإخواني داخليـا وخارجيا، إنه التقارب الـذي قرر الإخوان مواجهته عبر الربـط بينه وبين الاعتقـالات، واعتبارها "ثمـرةً لتزايـد التقارب بين عسـكر مصر والسودان".

خلال الفترة التي أعقبت هذه الزيارة تنامت الحملة الإخوانية لتُفعّل مع أذرعها الإعلامية نظيراتها الحقوقية، وتبدأ حالة مـن الضغـط بزعم الخشـية من تسـليم المقبوض عليهم للسـلطات المصرية، كان هـذا هو الهدف المُعلن للحملة التي راحت تسعى تارة للوقيعة بين المكون العسكري في مجلس السـيادة والحكومـة، وتُغازل تـارة أخـرى الحالة الثورية في الشـارع السوداني، وتَندِد ثالثة بانسياق المؤسسة العسكرية خلف نظيرتها المصرية.

أمـام حملـة تنظيميـة مُتصاعـدة يُصبـح السـؤالُ الذي يطرح نفسـه هو، هـل هُناك عناصـر إخوانيـة مصرية تم إلقاء القبض عليها في السودان ويخشى التنظيم تسـليمهم للقاهرة؟ مع الأخذ في الاعتبار قوة التنسـيق الأمني بين القيادة الإخوانية الرسـمية المصريـة والأجهزة الأمنية السـودانية التي وجدت منذ أيام حكم الرئيس السـابق عمر البشير، وهو التنسيق الذي أهَّل السودان ليكون ملاذا آمنا للفارين من مصر للإقامة أو اتخاذها معبرا للسفر إلى دول أخرى.

المفاجـأة حسـب شـهادات مصـادر تنظيمية أن المقبوض عليهم "تم تسليمهم من قبـل قيـادة رابطة إخـوان مصر في السـودان والتـي يتولـى مسـؤوليتها القيـادي محمـد الحلوجي، وهو نفسـه الذي يتولـى التواصل مـع أجهزة الأمن السوداني عبر اتصال مفتوح".

تنسيق مع الأمن

كانـت القاهـرة طالبـت الخرطـوم بتسـليم أعـداد كبيـرة ممـن توفـرت المعلومات للأجهـزة الأمنية بهروبهم إلى السـودان، وفي مقدمتهم عناصر اللجان النوعية، منهم أحمد عبدالمجيد ومصطفى طنطـاوي، المُصنفان باعتبارهما المتهمان الرئيسـيان في محاولة اغتيال مدير أمن الإسكندرية السابق اللواء مصطفى النمر، فضلًا عن عدد من قادة التنظيم المطلوبين على ذمـة قضايـا، وأبرزهم مـن أعضاء شـورى التنظيـم حلمي الجزار وياسـر حسانين ومحمد الشريف.

لكـن أيًـا مـن الأسـماء السـابقة لم تشـملها بيانـات اللجـان الحقوقيـة التنظيمية الصادرة من مقر أمانة التنظيم الدولي، بل إن معظمهـم وفرت له قيادات مكتب الإرشاد ملاذات آمنة توجهوا إليها بهويات مزورة، وأشـهرهم حلمي الجزار الذي بادر بالخروج من السودان إلى تركيا وقطر ويتحرك بينهما حاليا، فيما شملت القائمة الحقوقية الإخوانية أسماء فوزي أبوالفتـح الفقي ونجله محمود، وسـعيد عبدالعزيـز، وطـه عبدالسـلام المقياس، وياسر الصباحي، وحسام حسن، وعمرو أحمد عبدالمقصود بكر، وأحمد طه، وأحمد حنفي عبدالحكيم محمود.

المثير للدهشـة أن هذه القائمة ليست الأولـى لمن يتـم إلقاء القبـض عليهم من قواعد التنظيم في السـودان، فقد سبقتها قوائم معظمها من الشـباب الذين تمردوا علـى إدارة رابطة الإخوان في السـودان، وانتهـت رحلـة هروبهـم فـي قبضـة المخابـرات السـودانية، بعد أن سـلمهم مسـؤول الرابطـة محمـد الحلوجي، في حـوادث متتابعة، وكان أشـهرهم، مدين إبراهيم محمد حسنين، القيادي في تنظيم أنصـار الشـريعة، والمتورط فـي عدد من العمليات الإرهابية.

حين تعالت الأصـوات داخل التنظيم بضـرورة توضيـح موقـف القيـادة من الأنباء المتواتـرة عن تسـليمهم للقواعد المتمـردة، جـاء الرد من خـلال الإخواني محمـد سـودان في لنـدن، عبـر فضائية "وطـن" القناة الرسـمية للتنظيـم، قائلا "كانوا يُعدّون قنبلة في السـكن وانفجرت وهو ما اضطر القيادة لتسـليم المتورطين للسلطات".

كان هـذا فـي زمـن تمكين البشـير، وحينهـا لـم تخـرج الأبـواق التنظيمية الرسـمية لتُعلن عن مخاوفها من تسـليم المقبـوض عليهـم للقاهرة، بـل إن حدود التنسـيق بين الإخوان ومخابرات البشير وصلت إلى حد تدخل مسؤولهم الحلوجي لدى السلطات للإفراج عن عضو الشورى محمد الشـريف، حين ألقـي القبض عليه عـام 2018، والاكتفـاء بطرد زميله ياسـر حسـانين إلى أوغندا، بعد اكتشاف تزوير هويتـه، ورغم أنـه انتقل من هنـاك إلى تركيا، إلا أنه سُرعان ما عاد للسودان مرة أخرى لكن بعدما حصل على جواز سـفر سوري.

تتسـم حالـة الصـراع الدائـرة بين رابطـة إخـوان مصر في السـودان وبين من لجـأ إليهـم عبـر دروب التهريب من قواعد وقيادات الإخـوان والحلفاء خلال السنوات الست الماضية بأنها قديمة، ما يشـير إلـى أن إلقاء القبض على عشـرة أفراد حسـب التقاريـر الإخوانية لا يُمثل التهديـد الحقيقـي لإخـوان مصـر فـي السودان.

اعتقـال قواعـد الإخـوان المصريـين فـي السـودان ليس حـدث مُفاجئا، وكما هي عـادة التنظيم فإن اختـلاف التفاعل مـع الموقـف الواحد يؤكـد أن أهدافه في الحالتيـن قـد تغيرت، مـا يُشـير إلى أن الحملات الحالية تتعدى أهدافها مُناصرة قواعـد التنظيم إلى الانتصـار للحضور التنظيمي في المشـهد السوداني الجديد، بمـا يضمـن زعزعـة علاقـة التفاهم بين القاهرة والخرطوم، وابتزاز السلطة باسم شعارات الثورة، ودفعها لغض الطرف عن نشـاط وجوه الإدارة الرسمية الإخوانية، أمّا ما يخـص مصير القواعـد المقبوض عليهم فهذا آخر ما يشـغل بال تنظيم قرر عدم تحمل فاتورةَ أنشطة اللجان النوعية الإرهابية.

مـن الأهميـة اسـتيعاب خصوصية وضعيـة السـودان على خارطـة تنظيم الإخـوان، والـذي منـذ نشـأته في مصر يرى أن السـودان هو الامتـداد الطبيعي جُغرافيًـا، والأرض البكـر اسـتثمارًا، والملاذ الآمن لكُل مَنْ تقَطعت به السُبل من القيـادات والقواعد، وتَطوّر هذا الحضور خلال الفترة التي تلتْ انقلاب 1989 وتولي البشـير للسلطة بدعم إخواني، واستطاع التنظيـم خلال العقـود الثلاثة التي حكم فيها أن يُوسـع حضوره حتى استحالت أراضيـه مُعسـكرًا مفتوحًا يجـذب إليه أفرادًا وجماعـاتٍ ورؤوس أموال ليُصبح منطَقـة إدارة مركزيـة لفعاليـات لجنـة أفريقيا في التنظيم الدولي للإخوان.

حتـى قيـام ثـورة 30 يونيـو 2013 بمصـر كانت الكتلـة الإخوانيـة (رابطة إخـوان مصر بالسـودان) قائمة بالدرجة الأولـى على قيـادات وأعضـاء ووافدين لأسباب شـخصية (دراسـة، هروب إلخ)، وكان معظمهم يتسـمون بإحدى الصفات التاليـة: التكليـف التنظيمي عبر قسـم الاتصال للعمل في السـودان أو في مكتب أفريقيـا، الميـول الاقتصاديـة، العمل في الدعـوة، العمل فـي التدريس، الدراسـة خاصة الثانوية.

بحسـب مصـدر تنظيمـي مُقيم بالخرطوم منذ سـنوات، فإن إخوان مصر في السـودان يديرون تنظيمهم عبر مكتب عـام يترأسـه القيادي محمـد الحلوجي بصلاحياتٍ محدودة في الإدارة، وعلاقات تنسيق رسَمية مع قيادات الأجهزة الأمنية السـودانية، فيمـا يتولـى إدارة الرابطة بصلاحيـاتٍ كاملة أمينهـا العام القيادي أحمد عوض.

أكـد المصـدر التنظيمـي لكاتب هذه السـطور، أن الحلوجي بعلاقاته الوطيدة مع المخابرات السـودانية استطاع تجاوز كافـة المشـاكل التـي كانت تواجـه كُتلة إخـوان مصر في السـودان، حتى تغيرت مكونـات هـذه الكتلة فيما بعـد ثورة 30 يونيو، حيث تحوّل السودان إلى محضن لأصناف جديدة من إخوان مصر.

بدأ توافدهم للسودان عبر تنسيق مع أعضاء في جبهة القيـادي الراحل محمد كمـال، ومع انفتاح السـاحة السـودانية على كافة التنظيمات الإرهابية انضم عدد كبير منهم إلى تنظيم داعش، فيما استقل البعـض الآخر مكونـاً حركات مسـلحة صغيرة ذات علاقات بوسـطاء لتنظيمات مسلحة في السودان وخارجها.

خلافات وتنويعات

فـي محاولـة للوقـوف علـى طبيعة المُكـوِّن العام لإخوان مصر في السـودان يمكـن القـول إن من مروا على السـودان أو اسـتقروا فيـه، باسـتثناء القيـادات التنظيميـة، مجموعـات مـن القواعـد المنسـحقة الذيـن تمـت إعـادة هيكلتهم تنظيميـاً هنـاك، ورُقِّـي بعضهـم إلـى مسـؤولي أُسـر، كأصغر وحدة تنظيمية، ومسؤولي شُـعب، والشعبة أصغر وحدة جغرافيـة، ليصبح ذلك لهم بمثابة الترقي الكبيـر داخـل التنظيم وفرصة لممارسـة القمع الذي مارسـته عليهـم قياداتهم في مصر من قبل.

في ظـل عوامل عـدة وقعـت العديد من الأزمـات بين أبنـاء تنظيـم الإخوان المصريـين داخـل الأراضي السـودانية، لكنها لـم تكن خلافـات تنظيميـة فكرية بل أقرب لخلافات بسـبب أمراض نفسية ومحاولات سـادية تمارسـها شخصيات كانت منسـحقة داخـل التنظيم في مصر وخرجت لتنتقم لنفسـها بسحق القواعد المنسحقة أكثر منها .

نتـج عـن التنويعـات السـادية التنظيميـة التي مورسـت علـى القواعد الهاربـة كُفـر بعضها بالقيادة الرسـمية للتنظيـم باعتبارهـا المسـؤولة عن تلك الشـخصيات المريضـة، ولجـوء بعضها إلى الانضواء تحت رايات أخرى توفر لها الملاذ والتمويل.

تدريجيـاً احتدمـت الخلافـات بـين قواعـد المنسـحقين ووصلت إلـى تقارير من المسـؤولين عما دونهم فـي التراتبية التنظيميـة تتهمهـم بالخيانـة أو تغيير البيعـة (الانتمـاء لتنظيـم داعـش)، أو الانحلال الأخلاقي.

المثير أن التقاريـر التنظيمية بمجرد وصولهـا لمسـؤول الرابطـة (الحلوجي) قام بتسـليمها إلى السـلطات الأمنية في السودان، ما أسـفر عن حملات اعتقالات من قبـل أجهـزة أمـن البشـير للقواعد التنظيميـة بمجـرد طردهـم مـن شـقق الإخوان أو قبلها.

بـدأ المنسـحقون توحيـد صفوفهـم معلنـين تمردهم علـى القيادة الرسـمية وولائهـم لقائدهـم عضو مكتب الإرشـاد (محمد كمـال) في يوليـو 2016، ونظموا انتخابات داخلية تشبع رغبتهم في ترقي مناصب إدارية تعوضهم عن انسـحاقهم ليعلنوا مكتبا إداريا لهم ومسؤولي شعب وأقسام. الأمر الذي لم يرض جبهة القيادة الرسـمية والممثلة في الحلوجي ظاهرياً، وأحمد عوض فعليا.

كان الـرد علـى هـذا التمـرد اتفاق وتنسـيق مع أجهـزة الأمن السـودانية التـي لا تعتـرف إلا بالجبهـة الرسـمية للقيـادة الممثلة في القائم بأعمال المرشـد محمـود عزت، ونتـج عن الاتفـاق أربعة أشـهر من الملاحقات الأمنية للمنسحقين المتمردِيـن، وترحيـل مجموعـات منهـم قسـرياً إلى مصر، فيما تعرض عدد كبير منهـم للاختفاء قسـرياً داخل السـجون السودانية.

ومـع تفاقـم الأوضـاع المعيشـية والاجتماعية ترسـخت قناعة لدى قواعد التنظيم المنسـحقة بـأن ملاذهم في فرق العمـل المسـلح، والتي بحسـب شـهادة أحدهم "تُشعر كل منهم بمكانته وبامتلاكه قوة السلاح القادر على إشهارها في وجه من يشـاء". وبدأ المنسحقون في الخروج من سـلطة التنظيم، ما اسـتوجب تدخلا من القيادة في لندن لاحتواء الأزمة خشية أن يرفع السـلاح في وجههـا من قِبل من سحقتهم.

قـام القائم بأعمـال مرشـد التنظيم الموصوف رسـمياً بنائب المرشد القيادي، إبراهيـم منير، بإصـدار توجيهاته بعقد مؤتمر في ماليزيا لشـباب التنظيم تحت عنوان "الشـباب في مواجهـة التطرف" وأرسلت الدعوات عبر القيادي التنظيمي المقيـم بالسـودان حينها حلمـي الجزار والمقبول لدى كافة الأعضاء التنظيميين لما لديـه من قدرة على الحـوار ونفس طويل في الاستماع إليهم ومناقشتهم.

وجهـت الدعـوات لكافة المنسـحقين في السـودان ومن يمثلهم مـن عدد قليل مقيـم في تركيا شـاملة، تذاكـر الطيران والانتقـالات إلى ماليزيـا، والإقامة داخل فندق The everly بمدينة بوتراجايا بتكلفة 100 دولار أميركـي في الليلة لكل فرد بعد خصـم قدمتـه إدارة الفندق نظـراً للعدد الكبيـر، وحجز قاعة محاضـرات مجهزة بأعلى التقنيات.

حاضـر فـي المؤتمـر مـن وُصفـوا برمـوز الحركات الإسـلامية مثـل عماد الحوت عضو المكتب السياسـي للجماعة الإسـلامية في لبنان، وأنيـس متّى نائب رئيـس البرلمـان الإندونيسـي سـابقاً، والدكتور عبدالله بنعبدالمحسـن التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

بالتزامـن مـع مؤتمـر ماليزيـا كان التنظيـم بالدوحة يعقد مؤتمرا آخر تحت عنوان "التحولات في الحركة الإسلامية"، جامعـاً كافة قيادات فروع تنظيم الإخوان فـي العالـم ومـن خـرج مـن عباءته من تنظيمـات مختلفة لتتحـدث عن ضرورة التعقل قبل استخدام السلاح في مواجهة الأعداء.

أبـرز حلقـات المؤتمـر كان نجمهـا رئيس المكتـب السياسـي لحركة حماس خالـد مشـعل، رمز المقاومـة المقدس لدى كافة أبناء التنظيـم، والذي أذيعت كلمته أيضا على المجتمعين في ماليزيا، ليتحدث مرتدياً بزته الأنيقة وجالسـا في وضعية القيادي المتمكن الهادئ الواثق من نفسـه والمكلل بالانتصارات عـن ضرورة وجود عقـل سياسـي حاكـم حتى فـي مقاومة المحتل، والتعقل قبل اسـتخدام السـلاح، ووجوب حساب الخسـائر والمكاسب قبل اتخـاذ القـرارات المندفعـة، والإعلان أن الجلـوس على أي طاولـة تفاوض مع أي عـدو مقبول طالما الحركة الإسـلامية هي صاحبة القوة.

نتج عن المؤتمرَيْن استجابة عدد كبير من الشـباب للعودة إلى مظلة التنظيم من جديد، فيمـا رفض آخـرون العودة ليس اعتراضـا علـى منهج القيادة الرسـمية، وإنما رفضًا للانسحاق وطمعا في منصب قيادي ولو شـكليا عبـر الانضمام لفريق ضعيف يصف نفسـه بفريق "التأسـيس الثالث" للتنظيم، وبقي فريق لم يسـتطع أحـد إرجاعه عن قـراره بحمل السـلاح وتوجيهـه كيفما شـاء فهربت مجموعات منهم إلى سوريا والعراق والأردن ولبنان، فيما ظلت بالسودان أعداد أخرى تستكمل تدريباتهـا المسـلحة وهي تـرى في قادة التنظيم كفرا وتخاذلا.

هكـذا باتـت قيـادة التنظيـم مهددة مـن قِبل حاملـي السـلاح ومثلهم كل من مارس سـادية ضدهم مـن قيادات أصغر، فأطلقـت القيـادات مخبريهـا لتحسـس أخبار هـذه المجموعات وجمـع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول المتمردين، حتى أصبحت لديهم قاعـدة بيانات كاملة بهم وبتحركاتهم ومناطق تدريبهم ووسـطاء السـلاح العاملين معهم، وكان أن سـلمت رابطة إخوان مصر بالسودان للمخابرات السـودانية، قاعدة بيانات بكل المتمردين عليها، لتبدأ حملات الاعتقال والتحقيقات.

> الحملات الحالية تتعدى أهدافها مُناصرة قواعد التنظيم إلى الانتصار للحضور التنظيمي في المشهد السوداني الجديد، بما يضمن زعزعة علاقة التفاهم بين القاهرة والخرطوم

من هنا فرض مكتب الإرشـاد سلطانه على جميع من فروا إلى السـودان، وعلى مـن يقرر التمرد أن يواجـه غضب القادة وملاحقات الأجهزة الأمنية، وحال وقوعه فـي قبضتهـا تتصـدر الأذرع الحقوقية الإخوانيـة لإثـارة موجـات مـن التنديد والشجب تُقنع الإدارة السودانية الجديدة بأنهـا قد أزالت حضـور إخوان مصر من مشـهد السـودان، باختصار ستكون هذه العناصر كباش فداء.

تعاطي الإخـوان مع قواعدهم الهاربة خـارج مصـر عمومـا وفـي السـودان خصوصـا يُمثّـل الفضـح الحقيقـي لاسـتثمار هذا التنظيم للإنسـان على كل المسـتويات، باعتباره قُربانا ضامنا لبقاء عالم الإخوان، إذ أنه وبمجرد وُقوع الفرد في شـرك التنظيم، يتحول إلى مُسـتخدم عبـر جهاز تَحَكُّم مركـزي هو "البيعة"، لا يَحوي سـوى زرّين، هما السمعُ والطاعة، يُنادِيـه مُنادي القيادة فيُلبي في منشـطه ومكرهـه، ولا مانـع لدى التنظيـم من أنْ يُضحي به ليموتَ أو يُسْجَن أو يَهرب.

فـي كل الأحـوال تفـوز الدعـوة/ التنظيـم، إذ تـزداد أعداد قوائـم القتلى والمُعتقلين واللاجئين الذين يمثلون حطبًا يزيد اسـتعار نيـران المظلوميـة المؤهِّلَة لضغط الإخوان على خصومهم، والجالبة لملايين التبرعـات، والضامِنـة للحصول علـى دعم حقوقي دولـي، ولا مانع من أن يقوم التنظيم بتسـليم عناصره للسلطات الأمنيـة، إذا تحولوا إلـى أوراق محروقة قـادرة علـى أن تحـرق أقنعةَ السـلمية والوسـطية التي تسـتر توحش الإرهاب الإخواني.

حطب في نيران المظلومية